

وصف المعارك الحربیة فی شعر المتنبی

فاطمه قادری

عضو هیات علمی دانشگاه یزد

المستخلص

ان المتنبی شاعر مشهور فی الدرجة الاولى من الاشتهار فی الادب العربی، و شعره فی المرتبة الاولى من المتانة والبلاغة و مشهور بفخامة المعانی و متانة المبانی، و انه لم یدع باباً من أبواب الشعر الا طرقه و أجادفیه، خاصة المديح والفخر والحکم والحماسة والعتاب، و كان المديح والفخر يغلبان على كل فن من فونه فعندما نتصفح ديوان الشاعر نجد فی تضاعيف مداخله لسیف الدوله العمد انى ابیاتاً جمیلة عن المعارك الحربیة التى شاركها الشاعر مع أمير العرب انه وصف المعركة أدق و صفیه فقد وصف جیوش الاعداء و سلاحهم و خیلهم، كما وصف جیوش العرب و سیوفهم و رماحهم و خیولهم، و كما وصف أرض المعركة. هذه المقالة تعالج وصف هذه المعارك فی شعر المتنبی، فلذلك استخرجت الابیات المتناثرة خلال القصائد فی وصف الحروب، و وصف ما فیها من السیوف والزماح والغبار، و ما الى ذلك. كما تقوم بدراسة اربع قصائد مختارة فی الديوان وصف فیها الشاعر المعارك الحربیة، و فی الحقیقة أن هذه القصائد مدخ لسیف الدوله، و المتنبی فی خلال مدحه یصور القتال تصویراً باهراً.



الوصف في الجاهلية

كان الوصف من الموضوعات المهمة في الشعر الجاهلي و من الفنون البارزة التي برع فيها الشعراء الجاهليون، فقد نظروا في الطبيعة الصحراوية وأمعنوا النظر فيها، فوصفوا كل ما وقعت عليه أعينهم من الحيوان والنبات والازهار والامطار، و قد عُنوا بكل صغير وكبير من مشاهد الصحراء و لم يتركوا شيئاً إلا سجلوه في شعرهم فنستطيع أن نقسم وصفهم الى:

١- وصف الاطلاع: عند ما يأتي الشاعر لزيارة حبيبه يجد أهلها قد ارتحلوا الى مكان آخر فيقف على الاطلاع التي تدل على نزول اهل الحبيبة و مكوثهم هناك. و يصفها و يصف ما حولها.

٢- وصف الراحلة: كان الشعراء يذكرون بعد غزلهم و تشييبهم و وصف رحلاتهم في الصحراء، و يتطرقون الى وصف رواحلهم و كان للحيوان اثر كبير في حياتهم، و هو اقرب الى نفوسهم و عواطفهم فقد اعتنوا به عناية خاصة فوصفوا جسمه و قوته و صفاته و حركته، حتى عرف بعض الشعراء بالاجادة في وصف حيوان واحد و الإمعان في وصفه. ١

٣- وصف الصيد: كان الشاعر الجاهلي يصيد لغرضين إما طلباً للمعاش أو للهو و إما انه كان يرافق الملوك الذين يذهبون الى الصيد.

٤- وصف الطبيعة: كان الشاعر يصف الطبيعة ممثلة في حيوانها و ازهارها و نباتها و يتأمل في امطارها و سحبها و برقها و ضيائها و ظلامها، و قد اكثر الشعراء من وصف الخصب كما اكثروا من وصف الجذب. ٢

الوصف في الاسلام

لم يخرج الشعر الاسلامي عن الاطار العام في الجاهلية، و من ناحية الاغراض العامة والموضوعات المتداولة كما كان عليه في الجاهلية و ان دخله بعض التجديد في المعاني والاساليب و من ناحية الوصف نجد في تضاعيف مدائحهم و صفات لحروب الممدوح و انتصاراته على العدو و قد وصفوا كثيراً مما يشاهدون في فتوحهم من المعافل و الحصون و الحيوان.



الوصف في العصر العباسي

اتسع الوصف في العصر العباسي اتساعاً كبيراً، و تناول مظاهر البيئة الجديدة من الهياكل والجنائن و المآكل والملابس والخمر والزهر.

توسع الشعراء في هذا العصر في وصف الرياض والازهار و عدلوا عن وصف الاطلال الى وصف القصور، و يصفون في مقدمات مدائحهم الطبيعة في الحاضرة بسائتيها و رياضها، و قد اكثروا من وصف الرياض كما اكثروا من وصف الامطار والسحب و اكثروا من وصف الحيوان والطير والحشرات، و كثر في هذا العصر وصف الخمر و من و صافها ابونواس، و وصف الغلمان و من فعل ذلك حماد عجرد ثم حسين بن الضحاک. و قد وصف الشعراء الخيل والمعارك ونحوها و كانوا يصورون بسالة القواد الذين ساهموا في الحروب و لم يترك الشاعر العباسي معركة من معارك العرب ضد الترك والثائرين في شرقي الدولة، و ضد البيزنطيين في آسيا الصغرى الا سجلها في مدحه، يصور القواد الذين ساهموا في هذه الحروب. و لم يكتف الشعراء بهذا التصوير فقد سجلوا كل ما يستطيعون من تفاصيل عن المعارك الحربية و بذلك اصبحت قصائدهم تاريخاً و هو يمثل تاريخ الابطال و أمجادهم الحربية^١. و ممن أجاد في هذا الوصف، المتنبي.

أغراض المتنبي

لو قرأنا ديوان المتنبي لبدت لنا أغراض متنوعة أحاط الشاعر بها جميعاً، و اننا نستطيع أن نفهم من قراءة الديوان أن المتنبي تفوق في أغراض معينة، هي المدح والفخر والحكمة والهجاء والرثاء والوصف.

الوصف عند المتنبي

المتنبي بارع في الوصف، سواء وصف الطبيعة أو الحيوان أو الانسان و اخلاقه، و أبدع في وصف الاخلاق و تصوير الحياة والاشخاص، فمن قصائد المتنبي الوصفية، القصيدة التي مدح بها بدرابن عمار، بعدما انتصر في معركة اشتبك فيها مع أسدٍ هاجمه و هو على فرسه.



وردٌ اذا وَرَدَ البحيرةَ شارِباً
يَطأُ الثرى مترفقاً من تيهه

وَرَدَ الفراتَ زئيرةً والنيلا
فكأنه آس يجسُّ عليلاً^٤

وصف المعارك الحربية

أحسن مديح المتنبي يأتي مع وصف المعارك. قال عنه ابن الاثير: «اذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نبالها وأشجع من ابطالها وقامت اقواله مقام افعاله حتى نظن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواسلا» وقال هو عن نفسه:

وما الدهرُ الا من رِواةِ قصائدي اذا قلتُ شعراً أصبح الدهرُ منشدًا
فساربه من لا يسير مشمراً وغنى به من لا يغنى مغرداً^٥

ان المتنبي يصف المعارك أحسن وصف وذلك لانه فارس شهد المعارك مع سيف الدولة فأجاد وصفها ولم يبرع في وصف الحروب الا عند صاحب حلب، و وصف الجيوش اروع شعر المتنبي و أفخمه، وكان المتنبي في مدائحه لسيف الدولة مصدراً لحروبه و مورخاً^٦. و اخبار انتصارات سيف الدولة على اعدائه من عرب و غير عرب قد ملأت الدنيا حتى أصبح فارس العرب، و ان لم تكن فترة حكم سيف الدولة طويلة، ولكنها كانت مليئة بالاحداث الجسام، فهي مرحلة حرب مستعرة مع الروم، و مع الامراء العرب الذين يطمحون لتوسيع ملكهم، و المتنبي يصور تصويراً حياً ملاحم تلك البطولة^٧. فشعره في وصف المعارك شعر حماسي، لان الحماسة فن الحرب و القتال و الشجاعة و التغنى بصفات البطولة و الرجولة و ركوب المخاطر و وصف الكروالفر و جرحى و قتلى و سلاح و دماء و الدعوة للحرب و الأخذ بالتأثر، و ما الى ذلك، و شعر الحماسة من اصدق الاشعار و أشدها أثراً في النفوس، ذلك لأن الشعراء كانوا أنفسهم فرساناً يخوضون غمرات القتال فيعبّرون عن واقع مشهود و تجارب نفسية صادقة، و ان لم يكن بعضها يخلو من المبالغة و مجاوزة الواقع^٨.

يصور المتنبي في شعره احوال القتال و قتلى و جرحى و لمعان السيوف و تراشق السهام، كما يصور الجيش و غبار الحرب و ارض العدو و غير ذلك، و يعبر عن كل هذه المعانى تعبيراً جميلاً؛ و نحن نأتي بنماذج من اشعاره في هذه المعانى.



وصف بريق السيوف

وَعَجَاجَةٌ تَرَكَ الْحَدِيدُ سَوَادَهَا زَنْجًا تَبَسَّمُ أَوْ قَذَالًا شَائِبًا
شبه الشاعر لمعان السيوف في سواد الغبار الحاصل من تلاقي الجيشين بتبسم الزنج
أو شيب القذال.

فَكَأْتَمَا كُوسَى النَّهَارِ بِهَا دُجَى لَيْلٍ وَاطْلَعَتِ الرَّمَاحُ كَوَاكِبًا^۹
شبه بياض الحديد في سواد الغبار بطلوع الكواكب في الليل.

وصف الدرع

تَرَدُّ عَنْهُ قَنَا الْفَرَسَانِ سَابِغَةً صَوَّبَ الْأَسِنَّةَ فِي اثْنَانِهَا دَيْمًا
تَخَطَّ فِيهَا الْعَوَالِي لَيْسَ تَنْفُذُهَا كَانَ كُلُّ سِنَانٍ فَوْقَهَا قَلَمٌ^{۱۰}
ان الدرع السابغة تمنع الرماح من النفوذ فيها، والدرع قد تلطخت بالدماء التي تسيل
من الاسنة عليها، يعني ان الاسنة تتابع في ضرباتها كديمة المطر، و ان الرماح توثر في
درعه ولكن لانفذ الى جسمه، حتى كأنها قلم في كاغذ يكتب ولكن لا يخرقه.

وصف الغبار

فَأَقْبَلَهَا الْمَرْوَجُ مَسُومَاتٍ ضَوَامِرَ لَاهِزَالَ وَلَا شِيَاؤَ
تَثِيرَ عَلَى سَلِيمَةٍ مَسْبُطَرًا تَنَاكَرُ تَحْتَهُ لَوْلَا الشَّعَاؤُ
عَجَاجًا تَعَثَّرَ الْعَقْبَانُ فِيهِ كَأَنَّ الْجَوْ وَعَتْ أَوْ خَبَارًا^{۱۱}
يصف الشاعر في هذه الايات الغبار المثار من حركة الخيول ففي البيت الاول يصف
الخيول ويقول انها ضوامر، ولكن ضمورها ليس بسبب الهزال بل لتضميرها في ميادين و
ليس عيباً لها، وهذه الخيل تثير غباراً لا يعرف الجيش تحت هذا الغبار بعضهم بعضاً لولا
العلامة التي يتعارفون بها، و لكثافة هذا الغبار، تعثر العقبان فيه، كأنها تطير في ارض لينة
تغوص فيها أرجلهم فتعثر.



وصف الفرس

و تُسَعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سَبُوْحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ
تَشْتِي عَلَى قَدْرِ الطَّعَانِ كَانَمَا مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ^{١٢}
يصف الفرس وصفاً جميلاً ويقول: تعينني على التوارد في الحروب فرس سريعة كانها تسبح في جريها و يشهد بكرمها خصال لها منها شواهد عليها و هذه الفرس تميل مع الرماح و مفاصلها في سرعة استدراتها مسمار المرود (الذي) يدور مع حلقتة، لأنّ مفاصلها ليّنة

وصف الجيش

فَكَانَ الْغَرْبُ بَحْرًا مِنْ مِيَاهِ وَكَانَ الشَّرْقُ بَحْرًا مِنْ جِيَادِ
وَ قَدْ خَفَقَتْ لِكَ الرِّيَاطُ فِيهِ فَظَلَّ يَمُوجُ بِالْبَيْضِ الْحَدَادِ^{١٣}
في الجانب الغربي بحرٌ من الماء و في الجانب الشرقي جيش الممدوح و قد شبه الجيش بالبحر لكثرتة و كثرة ما فيه من بريق الاسلحة، فيقع الاعداء بين بحرین، بحرٌ من الماء و بحرٌ من الجيش، و الاعلام تحركت له في هذا البحر، و البحر يموج بالسيوف. شبه حركة السيوف في ذلك الجيش العظيم بحركة الموج في البحر.

وصف القتلى

الْقَتَّ إِلَيْكَ دِمَاءُ الرُّومِ طَاعَتَهَا فَلَوْ دَعَوْتُ بِلا ضَرْبِ اجَابَ دَمٌ
يَسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ فَمَا يَصِيبُهُمْ مَوْتُ وَلَا هَرَمٌ^{١٤}
لكثرة القتلى كان دماء الاعداء تطيع سيف الدولة بحيث لودعاهم للقتال لاجابت الدماء و سالت قبل الضرب، و انه يقتلهم قبل ان يموتوا من المرض أو الحادثة أو يهرموا و يموتوا من كبر السن فهو يسابق الحوادث و الامراض.

وَ قُلُوبٌ مَوْطِنَاتٌ عَلَى الرُّوِّ عَ كَأَنَّ اقْتِحَامَهَا اسْتِسْلَامُ
قَائِدُوا كُلَّ شَطْبَةٍ وَ حِصَانٍ قَدْ بَرَاهَا الْاَسْرَاجُ وَالْاَلْجَامُ
يَتَعَثَّرْنَ بِالرُّؤُوسِ كَمَا مَرَّ بَسَاءَاتٍ تُطَقِّهِ التَّمْتَامُ^{١٥}
انهم شجعان قد عودوا انفسهم الاقتحام في الحرب كأنهم لاسترسالهم و انبساطهم على



الحرب يطلبون الصلح والسلم و يقودون الى الحرب أفراساً قد انهلتها الحرب، و لكثرة القتلى يمشى هذا الخيل على رؤوس القتلى. ان الارض مليئة بَجَثِّ القتلى فلذلك لامجال للخيل الا ان يمشى على رؤوس القتلى.

و على التراب من الدماء مجاسد
يخطو القتيلى الى القتيلى امامه
و على السماء من العجاج مُسوح
رَبُّ الجواد و خَلَقَهُ المبطوح^{۱۶}

صبغت الارض لكثرة الدماء المسفوكه، فكأن الارض لكثرة القتلى و دمائهم صبغت بالجساد، و لكثرة الغبار اسودت السماء. ثم يقول كثرت القتلى و يخطو الفارس من قتيلى الى قتيلى و يخلف وراءه قتيلاً.

وصف بلاد الروم

و أشقى بلاد الله ما الروم اهلها
شَتَّتَتْ بها الغارات حتى تركتها
بهذا و ما فيها لمجدك جاحد
و جَفْنُ الذى خلف الفرنجة ساهد
مخضبة و القوم صرعى كأنها
- و ان لم يكونوا ساجدين - مساجد^{۱۷}

ان اشقى بلاد الله البلاد التى اهلها الروم و شفاؤها بهذا لانك لاتكثر غمرات الحروب ولكنهم يعترفون بمجدك ولا يجحدون شجاعتك، و هذه البلاد ملطخة بدماء القتلى كأنها مساجد و القتلى المطروحون فيها كأنهم يسجدون على الارض و ان لم يسجدوا حقيقةً. شبه البلاد بالمساجد و شبه المقتولين بالذين يسجدون على ارض تلك المساجد.

وصف فرار دمستق

فولّى و أعطاك ابنه و جيوشه
انهزم الدمستق و اعطى ابنه و جيوشه و لم يكن هذا الاعطاء طلباً لمجدك بل انه تركهم عجزاً، أى أراد أن ينجو بنفسه فتركهما اسرى فى يدك.

عرضت له دون الحياة و طرفه
و ما طلبت زرق الاسنة غيره
و أبصر سيف الله منك مجردا
و لكن قسطنطين كان له الفدى



فأصبح يجتابُ المسوخَ مخافةً وقد كان يجتابُ الدلاص^(١) المسرداً^{١٨}
ان الرماح لم تكن تطلب غير الدمستق ولكن ابنه أصبح فداء له، وانتهز دمستق الفرصة
ونجا بنفسه، وانه ترك الحرب خوفاً منك، ولبس المسوخ^(٢) بعد أن كان يلبس الدروع.

معركة خرشنة

ان المتنبي في مدائحه لسيف الدولة يصور بطولته و بطولة كتائبه و جنوده، و
في الحقيقة مدائحه أناشيد حربية يُسَمَع فيها قعقعة السلاح و رنينه الضخم، و من أروع
هذه الاناشيد عينيته التي صور فيها معركة خرشنة. و كان سيف الدولة قد انتصر فيها
انتصاراً عظيماً و انهزم الدمستق و قُتل خلق كثير من جيوشه و أُسِر جمع كثير منهم غير أن
جيش سيف الدولة أمعن في بلاد الروم و كره على التراجع بعد أن سئمه الحرب ففاجأه
العدو، فانهزم بعد أن انتصر، و المتنبي يصور بلاء سيف الدولة و جنده تصويراً باهراً، اذ
يقول في قصيدته التي مطلعها: ^{١٩}

غيرى باكثر هذا الناس ينخدع
ان قاتلوا جَبَنُوا أو حدّثوا شجعوا
ثم يصف بطولة سيف الدولة و تفرده في الشجاعة لتخفيف احزان الهزيمه، يقول: ^{٢٠}
بالجيش تمتنع الساداتُ كلهم
والجيش بابن ابى الهيجاء يمتنع
يعترف بالهزيمة و يلوم الجند الذى خذل اميره، ذلك الامير الذى هو ملاذ جيشه حين
كان الجيوش يحمون و يقوون السادة، أى ان قدرة الملوك و عزتهم بجيوشهم، ولكن قدرة
الجيش و عزته لسيف الدولة و هم يقوون و يمتنعون به، ثم يقول:

قَادَ الْمُقَانِبَ أَقْصَى شَرِبَهَا نَهْلٌ
على الشكيم وأدنى سيرها سِرْعٌ
حتى أقام على أرباض خرشنة
تشقى به الروم والصلبان و البيع
للسبى ما نكحوا و القتل ما ولدوا
والنهب ما جمعوا و النار ما زرعوها
مخلّى له المرجُ منصوباً بصارخة
له المنابرُ مشهوداً بها الجُمعُ
يُطَمِّعُ الطير فيهم طولُ أكلهم
حتى تكاد على احيائهم تَفْعُ ^{٢١}
ان سيف الدولة قاد الجيوش الى العدو حتى ان خيولهم اذا ارادت ان تشقى عطشها
اكتفت بجرعة واحدة و هي ملجمة، ثم أسرع بجيوشه اسراعاً شديداً حتى نزل بارباض

٢- المسوخ: ثياب تنسج من الشعر.

١- الدلاص: الدرع البراقة الصافية.

خرشنة فسبى النساء وقتل الاولاد ونهب الاموال، و حرق الزروع، حتى استسلمت بعدها مدينة صارخة، وفرّ أهلها، ونصب الجيش المنابر بأرضها وشهد الجمع وأصبحت من ديار الاسلام. ولكثرة ما أكل الطير من لحوم جثث الاعداء المبعثرة فى العراء الفت لحومهم حتى تكاد تقع على احيائهم. ثم يقول:

كأنها تتلقاهم لتسلكهم
فالطعن يفتح فى الاجواف ما تَسعُ
تهدى نواظرها والحرب مظلمة
من الاسنة ناراً والقنا شمع ٢٢

أى كان خيله تتلقى الروم لتدخل فى اجسادهم فان الطعن يحدث فى اجوافهم شقوقاً واسعة تسع الفرس ليدخل منها، و اذا ما اظلمت الحرب بالغبار تهدى عيون خيله بضوء اسنة الرماح، كأن الاسنة نار والقنا شمع. انه أبداع فى وصف بريق السلاح، شبه بريق الاسنة فى رؤوس القنا بالنار فى رأس الشمع ثم يقول فى وصف هذه المعركة:

إذا دعا العليج علجاً حال بينهما
أظمى تفارق منه اختها الضلعُ
أى اذا استغاث العليج صاحبه اعترض بينهما رمح أسمر يفرق بين الضلعين. ثم يقول انه اقدر الناس على تحويل الانكسار الى نصر رائع لانه:

من كان فوق محل الشمس موضعه
فليس يرفعه شىء ولا يضعُ
ان السلاح جميع الناس تحمله
وليس كل ذوات المخلب السبع ٢٤
أى من كان فى غاية الرفة والمكانة لايسمو بنصره أحد ولا يتضع بخذلان أحد، و ليس كل من يحمل السلاح شجاعاً كما أنه ليس كل ذى مخلب اسداً مفترساً.

معركة الحدث الحمراء

سبب هذه المعركة أن الروم هاجموا قلعة الحدث وهدموا فتوجه امير حلب و معه خمسمائة من حرسه الخاص اليها وهاجمه الروم و وقع القتال بينهم فلم يستطع الروم أن يتغلبوا عليه، فظفر سيف الدولة و قتل ثلاثة آلاف منهم و أسر خلقاً كثيراً فأقام سيف الدولة فى الحدث حتى أتم بناء القلعة، وكان المتنبى الى جانب الامير فى تلك المعركة، فأنشد هذه القصيدة يمدحه ٢٥:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
و تأتى على قدر الكرام المكارم



الى أن يقول:

أَنبُوكَ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّمَا سَرُوا بِجِيَادٍ مَا لَهْنٌ قَوَائِمٌ
اِذَا بَرَقُوا لَمْ تَعْرِفِ الْبَيْضَ مِنْهُمْ ثِيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعِمَائِمُ
خَمِيسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ وَفِي أَذْنِ الْجُوزَاءِ مِنْهُ زَمَائِمٌ^{٢٦}
يصف في هذه الايات جيش الروم بأنهم يجرون الحديد لكثرة ما عليهم من السلاح،
ولكثرة ما عليهم من الحديد، انهم كالسيوف أى لبسوا الدرع والخوذ فثيابهم وعمائمهم من
الحديد فلذلك لا يفرق بينهم وبين سيوفهم، وهذا الجيش لكثرتة ملأ شرق الارض و
غربها وبلغ صوته السماء.

ثم يصور الشاعر سيف الدولة، وقد وقف في ساحة القتال حين لا يشك واقف
في الموت، ويشهد انهزام الروم فلشدة القتال كانه وقف في جفن الردى والردى عنه نائم
فلم يبصره والابطال البيزنطيون يمرون به مجروحين منهزمين و هو مشرق الوجه باسم
الثغر، ويصف المتنبي سيف الدولة بأنه فوق حد الشجاعة والعقل ثم يجعله عالماً بالغيب
واقفاً على اسرار المستقبل. يقول:

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى و هو نائم
تسرُّ بك الأبطال كلِّمى هزيمةً ووجهك وضَّاح و ثغرك باسم
تجاوزت مقدار الشجاعة والتَّهى الى قول قوم انت بالغيب عالم^{٢٧}
وانتهى الشاعر الى وصف الخيل فيقول:

تدوس بك الخيل الوكور على الذرى وقد كثرت حول الوكور المطاعمم
تظن فراخ الفتح أنك زرتها بأماتها و هى العتاق الصلادم
اذا زلقت مشييتها ببطونها كما تمشى فى الصعيد الراقم^{٢٨}
ان الخيل قد تابعت الروم الى رؤوس الجبال حيث وكور جوارح الطير، تقتلهم حتى
تكثر مطاعم الطير حول أوكارها وظنت فراخ العقبان أن خيل سيف الدولة أماتها لشدتها و
سرعتها، و هى اذا زلقت فى صعودها الجبال و لم يستطع ان تسير على رجليها تزحف
على بطونها كما تزحف الحيات.



معركة الدرب

هي آخر معارك سيف الدولة و آخر معركة وصفها المتنبي، وكانت قصيدته فيها آخر قصيدة في سيف الدولة قبل رحيله عن حلب.

كانت معركة الدرب انتصاراً عظيماً لسيف الدولة وكانت قصيدة المتنبي من أروع الشعر، وقد وصف المتنبي حركة الجيش العربي الى المعركة، وفضّل الاماكن والاحداث و أطوار المعركة و ملابساتها، بحيث صبغ القصيدة بصبغة الشعر الملحمي^{٢٩}، يقول:

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندمٌ
ماذا يزيدك فى اقدامك القسم
انّ البطريق أقسم عند ملكه أنه يلقي سيف الدولة فى الحرب و يظفر، فدخل الحرب و خاب ظنه، فذكر المتنبي ذلك يهجوّه و يقول من اطمأن بظفره فلربما لا يظفر، فتكون عاقبته الندم، لأنّ القسم لا يزيد فى الاقدام ثم يقول الشاعر فى وصف سيف الدولة:

كلّ السيوف اذا طال الضرايب بها
يمسّها غير سيف الدولة السأم^{٣٠}
أى كل السيوف اذا ضرب بها كلّت و نبت الا سيف الدولة فانه لا يسأم من مقارعة الابطال. و يصل الى وصف الجيش و يتتبع حركة الزحف و يقول:

جيشٌ كانك فى ارض تُطاوَلُه
فالارض لاأمم و الجيش لاأمم
اذا مضى علمٌ منها بدا علمٌ
و ان مضى علمٌ منه بدا علمٌ^{٣١}

أى ان الارض كانت طويلة ممتدةً فلذلك تطاول جيشك البعيد أطرافه أى كلاهما طويلٌ و كأن الارض البعيدة أدّت الى تطاول الجيش، و الاعلام من الارض و من الجيش كثيرة بحيث كلما غاب جبل ظهر جبل آخر كذلك الجيش فكلما مضت راية فيها بدت راية أخرى لامتداد صفوف الجيش أى لايفنى الجيش كما لايفنى الارض.

معركة مع الروم

ان الشاعر يمدح سيف الدولة بهذه القصيدة عند منصرفه من بلاد الروم و على هذه المديحة مسحة من الحماسة يصف الممدوح بالخوض فى معركة هائلة، و خروجه منها بالنجاح و يصف الجياد و ارض المعركة و تجمع الاعداء^{٣٢}. هذه القصيدة هي:

الرأى قبل شجاعة الشجعان
هو أوّل و هى المحل الثاني^{٣٣}

بدأها بمقدمة، ثم تخلّص الى وصف الممدوح فى ابيات فبلغ الى وصف جياد



الممدوح و خيله حيث قال:

في قلب صاحبه على الاحزان
فدعاؤها يُغنى عن الارسان
فكأنّما يُبصرن بالآذان
كلُّ البعيد له قريبٌ دان
يَطْرَحْنَ أَيْدِيهَا بِحِصْنِ الرَّانِ
ينشرن فيه عمائم الفرسان^{٣٤}

كل ابن سابقة يُغير بحسنه
ان خُلِّيت رُبَطَتْ بِأَدَابِ الْوَعْيِ
في محفلٍ سترَ العيونَ غباؤه
يرمى بها البلدُ البعيدَ مظفّرُ
فكان أرجلها بتربة منبج
حتى عَبْرَنَ بارسناس سوابحاً

ان جياده من ولد كرائم الخيل و بحسنها يسرّ صاحبها و يذهب الحزنُ عن قلبه، و انها تدرّبت بفنون الحرب، فاذا تركها صاحبها لم تترك مكانها، حتى اذا دعاها صاحبها اسرعت اليه، و لانتحاج الى الرّسن، و ان صاحبها يقودها في جيش عظيم غباؤه ستر العيون فانها يبصرن بالآذان بدل العيون، يقود سيف الدولة هذه الخيل الى بلد بعيد و هو قائّد كل بعيد له قريب، و كأنّ ارجلها بالشام و ايديها بالروم، أى لها خطوات واسعة و هى تبلغ الروم بخطوة واحدة مع أنّ بينهما مسافة بعيدة، فقد عبرن نهر ارسناس بسرعة فنشرن عمائم الفرسان في هذا النهر و بعد ذلك يصف النهر و يصوّره تصويراً ملحمياً، حيث يقول:

تتفرقان به و تلتقيان
و ثنى الاعنة و هو كالعقيان
و بنى السفين له من الصلبان
عقم البطون حوالك الالوان
تحت الحسانِ مرابض الغزلان
من دهره و طوارق الحدثان
راعاك و استثنى بنى حَمدان^{٣٥}

والماء بين عجاجتين مخلص
ركض الاميرُ وكاللجين حباؤه
فتلّ الحبال من الغدائرِ فوقه
و حشاهُ عاديةً بغير قوائم
تأتى بما سبّت الخيولُ كأنها
بحرٌّ تعوّد أن يذمّ لاهله
فتركته و اذا أدمّ من الورى

كان النهر عند ملتقى الجيشين - و لكل جيش غبار - و صار النهر بين الغبارين، يفترق الغباران بالماء و يلتقيان فوقه و الامير عبر هذا النهر، و كان ماؤه ابيض كالفضة، ولما قتل الروم و جرت فيه دماء القتلى احمرّ لكثرة الدماء، و تجرى في هذا الماء سفن فُتلت حبالها من شعور النساء، و اتخذ خشبها من صلبان المعابد و ذلك يدل على كثرة الغنائم و السبايا و تجرى في الماء سفن ليس لها الايدى و القوائم و هى عقم ليس لها نسل، سوداء اللون



تحمل النساء التي سبتها الفوارس، كأن النساء في هذه السفن غزلان في مراض، و ذلك
النهر تعود أن يجير أهل الروم من حوادث الدهر و يمنع الاعداء من العبور، و سيف الدولة
عبره فكأنه استثنى سيف الدولة ولايمنعه. و نرى في هذا البيت ان الشاعر اجاد في
تشخيص النهر و جعله انساناً يجير أهله من الحوادث و يمنع من العبور ولكنه لم يستطع ان
يدفع آل حمدان، كأنه استثناهم و راعاهم.

و يصف المتنبي ساحة القتال و هول المعركة و شجاعة الممدوح. يصف ممدوحه بأنه
يقهر كل القوى و ان سيفه يخضع السيوف و ان دينه يخضع الاديان الاخرى. بقوله:

خضعت لمنصلك المناصلُ عنوةً و أذلَّ دينُك سائرَ الاديان

ثم يتابع قوله:

و على الدروب و في الرجوع غضاضةً و السير ممتنعٌ من الامكان
و الطرق ضيقة المسالك بالقنا و الكفر مجتمعٌ على الايمان
نظروا الى زبر الحديد كأنما يصعدن بين مناكب العقبان
و فوارس يحيى الحمام نفوسها فكأنها ليست من الحيوان^{٣٦}

يبين الشاعر المعركة بشكل هائل و يقول قد اشتدت الحرب و لم يمكن لنا الانصراف
و الرجوع لما فيه من العار و الذلة و لم يمكن التقدم لضيق الطرق و انسدادها بالسيوف و القنا
و كثرة الجيوش المحيطة على اهل الايمان و في هذه الحالة نظر الروم الى جيش سيف
الدولة و سيوفهم كانوا تصعد و تنزل بين مناكب العقبان و نظروا الى فرسان يرون الحياة
في موتهم كأنهم ليسوا من الحيوان لأن الحيوان اذا مات هلك ولكنهم اذا قتلوا لم يموتوا
بل انهم احياء.

ثم يصف ممدوحه في صورة بطل لا تروجه روعة و يقول:

ما زلت تضرُّهم دراكاً في الدرِّى ضرباً كأن السيف فيه اثنان
خصَّ الجماجم والوجوه كأنما جاءت اليك جسومهم بأمان
حرموا بما يرمون عنه و أدبروا يطأون كل حنيةٍ مرنان
يغشاهم مطرُ السحاب مفضلاً بمهند و مثقفٍ و سنان
قُرموا الذي أملا و ادرك منهم أماله من عاد بالجرمان
و اذا الرماح شغلن مهجة نائِر شغلته مهجته عن الاخوان



هيهات عاق عن العواد قواضب
 ومهذب أمر المنايا فيهم
 قد سوّدت شجر الجبال شعورهم
 وجرى على الورق النجيع القاني
 كثُر القتيلُ بها وقلّ العاني
 فأطعته في طاعة الرحمان
 فكأنّ فيه مُسَمِّة الغريبان
 فكانه النارنج في الاغصان^{٣٧}

هو يغير على الاعداء ويضرب في رؤوسهم و اعناقهم ضرباً متتابعاً بكل قوة كأن سيفه سيفان و هذا السيف يضرب في رؤوسهم و وجوههم و لا يتعرض لسائر الاجسام، والاعداء يرمون اسلحتهم ثم ينهزمون فيطاؤون في هزيمتهم مارموا عنه بأقدامهم ولكنهم لا يستطيعون الفرار فيدركهم ضربات متتابعة من اكف الفوارس بالسيف والقنا والسنان كالمطر المتتابع الذي ينزل من السحاب، و انهم يحرمون من أملهم وهو الظفر والفوز، و من عاد الى بيته من الهرب و الهزيمة فاز لأنه نجابنفسه و شغله حفظ مهجته عن مهج اخوانه و شغلوا بانفسهم عن ادراك ثار قتلاهم و لا يستطيعون ان يعودوا الى القتال مرة اخرى لكثرة القتلى و قلة الاسرى، تمنع سيوف قواطع كثرت بها القتلى و قل الاسير لان المسلمين لم يأسروا الاعداء بل قتلوهم و يمنعم من العودة فارس مهذب حكم المنايا فيهم فتطيعه باهلاك نفوسهم، فسوّدت شعور القتلى المنتشرة اشجار الجبال كأن الغريبان وقعت عليها و جرت دماؤهم على تلك الاشجار كأن النارنج علق بأغصانها ان الشاعر ابداع في تشبيه شعور القتلى المتصلة باشجار الجبال بالغريبان، و دماءهم الجارية على اوراق تلك الاشجار بالنارنج.

النتيجة

و فيما يظهر لنا من اشعار المتنبي أن فيه الشجاعة و الطموح و فيه ولع خاص بالحرب وآلاته، و انه عندما يشهد المعركة يصور في اشعاره العواطف التي تجيش في نفسه، و الخواطر التي تدور في رأسه، و لاشك انه في اشعاره الحربية يمدح سيف الدولة ولكنه لم يكن يصور سيف الدولة وحده و انما كان يصور نفسه و جماعة المسلمين و جماعة الروم، و نجد أن الفتوة العربية تشيع قوية مضطربة في وصف المتنبي لحروب سيف الدولة.

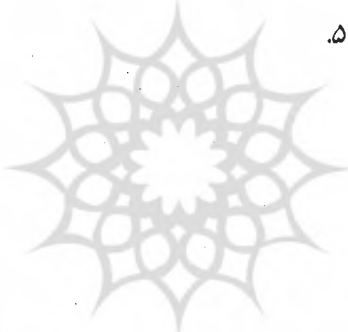


التعليقات

- ۱- الشعر الجاهلي خصائصه و فنونه، ص ۳۶۵.
- ۲- تاريخ الادب العربي، عمر فروخ، ج ۱، ص ۸۰، تاريخ الادب العربي، شوقي ضيف، ج ۱، ص ۲۱۴.
- ۳- تاريخ آداب اللغة العربية، ج ۲، ص ۴۶ - تاريخ الادب العربي، شوقي ضيف، ج ۳، ص ۱۶۲.
- ۴- المتنبي شاعر السيف والقلم، ص ۲۸.
- ۵- نفسه، ص ۲۲.
- ۶- ادباء العرب، ج ۲، ص ۳۴۶.
- ۷- الشعر في العصر العباسي، ص ۱۹۰.
- ۸- الشعر الجاهلي خصائصه و فنونه، ص ۲۹۳.
- ۹- ديوان المتنبي، شرح برقوقی، ج ۱، ص ۲۰۰ و ۲۰۱.
- ۱۰- نفسه، ج ۲، ص ۳۸۵.
- ۱۱- نفسه، ج ۱، ص ۴۳۸.
- ۱۲- نفسه، ج ۱، ص ۲۹۴.
- ۱۳- نفسه، ج ۱، ص ۳۵۳.
- ۱۴- نفسه، ج ۲، ص ۳۸۵.
- ۱۵- نفسه، ج ۲، ص ۴۴۱.
- ۱۶- نفسه، ج ۱، ص ۲۸۲.
- ۱۷- نفسه، ج ۱، ص ۲۹۶.
- ۱۸- نفسه، ج ۱، ص ۳۰۳.
- ۱۹- نفسه، ج ۱، ص ۵۲۳.
- ۲۰- ابو الطيب المتنبي شاعر الطموح والعنفوان، ص ۵۷.
- ۲۱- ديوان المتنبي، ج ۱، ص ۵۲۶.
- ۲۲- نفسه، ج ۱، ص ۵۲۸.



- ۲۳- نفسه، ج ۱، ص ۵۲۹.
- ۲۴- نفسه، ج ۱، ص ۵۳۲.
- ۲۵- الجامع في تاريخ الادب العربي، حنا الفاخوري، ج ۲، ص ۸۱۰.
- ۲۶- ديوان المتنبي، ج ۲، ص ۳۵۶.
- ۲۷- نفسه، ج ۲، ص ۳۵۷.
- ۲۸- نفسه، ج ۲، ص ۳۵۹.
- ۲۹- الجامع في تاريخ الادب العربي، ج ۲، ص ۸۱۲.
- ۳۰- ديوان المتنبي، ج ۲، ص ۳۷۷ و ۳۷۸.
- ۳۱- نفسه، ج ۲، ص ۳۸۰.
- ۳۲- التعريف بالمتنبي، ص ۱۰۰.
- ۳۳- ديوان المتنبي، ج ۲، ص ۵۰۰.
- ۳۴- نفسه، ج ۲، ص ۵۰۲.
- ۳۵- نفسه، ج ۲، ص ۵۰۲.
- ۳۶- نفسه، ج ۲، ص ۵۰۴.
- ۳۷- نفسه، ج ۲، ص ۵۰۵.



پرويشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی



فهرس المرجع

- ۱- البستاني، بطرس، ادباء العرب في العصر العباسية، دارالجيل، بيروت.
- ۲- الجبوري، الدكتور يحيى، الشعر الجاهلي خصائصه و فنونه، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ۱۴۰۷ هـ، ۱۹۸۶ م.
- ۳- جرجى زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دارالفكر، بيروت، الطبعة الاولى، ۱۴۱۶ هـ، ۱۹۹۶ م.
- ۴- جوزف الهاشم، ابوالطيب المتنبى، شاعر الطموح و العنفوان، دارالمفيد.
- ۵- ديوان المتنبى، شرح عبدالرحمن البرقوقي، تحقيق الدكتور عمر فاروق الطباع، دارالرقم، بيروت.
- ۶- ديوان المتنبى، شرح ابى البقاء العكبرى، دارالمعرفة، لبنان.
- ۷- شوقى ضيف، تاريخ الادب العربى، العصر العباسى، الطبعة الثامنة، دارالمعارف، قاهرة.
- ۸- عطوى، الدكتور على نجيب، الشعر فى العصر العباسى، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، ۱۴۱۳ هـ، ۱۹۹۳ م.
- ۹- عطوى، الدكتور فوزى، المتنبى شاعر السيف و القلم، دارالفكر، بيروت، الطبعة الاولى، ۱۹۸۹ م.
- ۱۰- الفاخورى، حنا، الجامع فى تاريخ الادب العربى، دارالجيل، بيروت، الطبعة الاولى، ۱۹۸۶ م.
- ۱۱- فاضلى، محمد، التعريف بالمتنبى، دارجامعة مشهد للنشر، ۱۳۷۲ هـ ش.
- ۱۲- فروخ، عمر، تاريخ الادب العربى، دارالعلم للملايين، الطبعة السابعة، ۱۹۹۷ م.

